عتبات النص ودلالاتها في رواية " روائح المدينة " لحسين الواد

د. يوسف العايب

جامعة الشهيد حمه لخضر -الوادي – الجزائر

ملخص البحث :

تشكل العتبات النصية مفاتيح إجرائية فاعلة للولوج في فضاء النص و التأثير في متلقيه ، ووعيا منها بدور(عتبات النص) ووظيفتها في الإسهام في إضفاء معنى عليه وإثارة اهتمام المتلقي وتوجيه قراءته، أولت تلك الدراسات و المقاربات النقدية الحديثة و المعاصرة اهتماما بالنص الموازي الذي يطرح نفسه للمتلقي عموما بمثابة كتاب مفتوح يتجاوز الحدود بين ما هو داخل النص وخارجه مشكلا نقطة عبور إلى داخل النص. كما اتفقت جميع تلك المقاربات على التمييز بين مستويين من الخطاب في أيّ مؤلف، هما النص وعتباته، انطلاقا من وظيفة كل منها الخاصة وشكل اشتغالها وموقعها في فضاء النص وطبيعة الحمولة الفكرية والأيديولوجية التي تنطوي عليها

و ضمن هذا الإطار تأتي هذه الدراسة الموسومة بـ: عتبات النص و دلالاتها في رواية " روائح المدينة " لحسين الواد ، للوقوف على مدى استثمار الكاتب للعتبات النصية في التعبير عن تجاربه و انفعالاته و كذا الكشف عن دلالاتها و دورها في جذب اهتمام المتلقي ، للدخول في فضاء المتن الروائي ،وفاعليتها في فهمه والولوج إلى خباياه ،و كذا أهميتها في عمليتي: الإبداع والتلقي انطلاقا ممّا تحمله من طاقات تعبيرية و وظائف إبلاغية ، وممّا تخلقه من رغبات و انفعالات لدى المتلقي تدفعه إلى اقتحام عالم النص برؤية مسبقة في غالب الأحيان.

توطئة:

خلال العقد السابع من القرن الماضي ، أخذت طائفة من النقاد و الدارسين في الاشتغال على المؤثرات الخارجية للممارسة الإبداعية عموما ، و في الانكباب على بعض مواقع النص الأدبي ذات المزية في شأن إخبار القارئ وإبرام ميثاق القراءة معه ،وظهرت _ كنتيجة لتلك الأبحاث _ العناية بمكونات الخطاب وعناصره كالتقديمات و العنونة و الإسناد (أسماء المؤلفين) وكلمات الإهداء والشكر والتعليقات والحواشي والفهارس والخاتمات وصور الأغلفة... وغيرها مما يمكن أن ندعوه بالعتبات النصية . " وذلك انطلاقا من قناعة مفادها أن ليس النص امتدادا لا شكل له، بقدر ما يمتلك مجموعة من المداخل والمخارج والمنافذ التي تتيح العبور إليه واجتيازه ومغادرته، وتنبه القارئ إليه وعليه[1] .

وتعد العتبات النصية " مفتاحا قرائيا بالغ الأهمية في سياق الاهتمام النقدي بها بوصفها فضاء محيطا و بابا مشفرا يحيط بالبناء السردي للنص، يوازيه و يتفاعل معه على مستويات متعددة في المتن إلى الخطاب ، فهي تشرع أمام المتلقي الطريق

---

1 - يوسف الإدريسي،عتبات النص(بحث في التراث العربي و الخطاب النقدي المعاصر)، منشورات مقاربات، آسفي، المملكة المغربية، ط 1، 2008،ص 7

لاقتحام النص، و من خلالها يبني أول آفاق انتظاره و توقعه " [2]بما تحمله من تأويلات و دلالات ،و كذا وظائف متعددة تختزل جانبا من منطق السرد و الكتابة بعامة ، فتلك الرموز الإشارية يمكن اعتبارها في مجموعها أدوات أساسية إجرائية يتسلح بها القارئ و هو يستعد لاقتحام عوالم النص من أجل الوصول إلى مراميه و مقصدياته و فهم طبيعة قراءته فهما مبدئيا ، و"كل تلك الأشكال العتباتية تحمل في ذاتها دلالات وثيقة العلاقة بالنص عن طريق تشفيرها و إيحاءاتها التي تدفع باتجاه إثارة القارئ المندفع و المشغول بتأويله لهذه المداخل علّها تعينه على فك رموز النص وإزاحة بعض أقنعته "[2]

و قد تفطن العرب قديما للعتبات النصية من خلال اهتماهم بالاستهلال ، ذلك أن حسنـــــــــه في اعتقادهم

" داعية للانشراح و مطية للنجاح "[3]، ثم أن الشعر في اعتقادهم " قفل أوله مفتاح فينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره ، لأنه أول ما يقرع السمع و به يستدل على ما عنده من أول وهلة " [4].

ثم تضاعف اهتماهم بالعتبات النصية بعد تنبه النقد الحديث إلى فاعليتها ووظائفها الدلالية والجمالية ،

" و بات ينظر إليها بوصفها جزءا لا يتجزأ من القيمة الإبداعية المتكاملة للنص ، فلم يعد المتن النصي هو الغاية الوحيدة التي يقصدها المتلقي لأن ما حول المتن النصي من عتبات نصية باتت تؤثر تأثيرا بالغا في طبيعة التأويل"[5] لا يقل أهمية عن تأثير المتن في المتلقي . و هو ما يجعل من مسؤولية الكاتب و الناشر كبيرة في تشكيل تلك العتبات و رسم حدودها و معالمها " لأن هناك علاقة بين المبدع و المتلقي قبل إتمام العمل ، وهذه العلاقة تأخذ شكلا تفخيخيا من قبل المبدع الذي يروم من خلال عتباته إيهام القارئ و تشظي أفكاره رغبة في طول الممانعة النصية " .و انطلاقا من ذلك كله جاز لنا أن نقول أنّ العتبات النصية استطاعت أن تشكل خطابا مفكّرا فيه و دوالا سيميائية مؤثرة و فاعلة في النصوص التي تحيط بها و تصاحبها .

وما يكسب هذه الدراسة أهميتها هو كونها تتناول ظاهرة سيميائية لها حضورها الواسع في حقل الدراسات النقدية الحديثة و المعاصرة ،و لها تأثيرها الفاعل في تشكيل فضاء الإبداع الأدبي عامة و الروائي بصفة خاصة باعتبارها مفتاحا أساسيا من مفاتيح الولوج إلى النصوص و اقتحام سياجاتها و اقتحام عوالمها الظاهرة و الخفية .و نهدف من خلال ذلك كله إلى معرفة أنواع العتبات النصية التي استثمرها حسين الواد في روايته " روائح المدينة "، و الوقوف على أبرز قيمها الدلالية و الجمالية و كذا الكشف عن وظائفها التداولية و أهميتها في عمليتي الإبداع و التلقي .

---

1 - نخبة من النقاد و الأكاديميين، فضاء الكون السردي ،إعداد و تقديم :محمد صابر عبيد،دار غيداء للنشر ،عمان ،ط 1، 2014،ص 273

2 -نفسه ، ص 273

3 -أبو علي بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، 1/18، نقلا عن محمد مصطفى كلاب ، عتبات النص في رواية ستائر العتمة لوليد الهودلي،مجلة البحوث الإنسانية.الجامعة الإسلامية .غزة .مج 25 .2017.

4 -نفسه ، الصفحة نفسها

5 -نفسه ، الصفحة نفسها

هذا و قد اقتصرت الدراسة على تتبع عتبات الرواية الصادرة في جزئها الأول في طبعتها الأولى عام 2010 عن دار الجنوب للنشر بتونس مع الاقتصار على : لوحة الغلاف و العنوان و الإهداء و المقدمة .

1-لــوحة الغلاف :

من بين ما اهتم به النقاد من نصوص مصاحبة للعمل الأدبي لوحة الغلاف على اعتبار أنّها مفتاح للعمل الأدبي، لا ينبغي الدخول في النص مباشرة قبل النظر فيها لما لها من أهمية في تفسير النص و تشكيل رؤية مؤيّدة لما يرتضيه الروائي .

و تأتي حاجة المتلقي إلى صورة الغلاف بنفس درجة احتياج الناشر أو الكاتب إليها . فالتفكير في مكوناتها و محاولة تفسيرها يجعل القارئ مشاركا بصورة فعالة في كتابة النص الذي أصبح يرفض أن يأتي كاملا من مؤلفه. و يصرّ على أن يكون نبتة لا تنمو إلا بقراءة متلقّ قادر على تخيّل ما لم يخض فيه الكاتب الذي تكمن مهارته في مدى استغلاله لطاقات المتلقي الذهنية و الذوقية [1] ،فليس الغلاف إذا مجـرّد " قشرة لحفظ الصفحات من التلف، و هو قد يكون مساهمة فاعلة مقصودة بألوانه و تشكيلاته تضفي على الكتاب رؤية جمالية تفصح عمّا تريد أن تقوله الرواية "[2] و ذلك لما يحمله الغلاف - عادة- من رسومات واقعية أو تجريدية لا يمكن تمييز واحدة منها عن الأخرى، فالنتائج الدلالية للصورة الواقعية (شخص ، منزل ، شجرة ، حيوان ...) لا تقل –أبدًا- عن نتائج الصورة التجريدية ، بل قد تفوقها دلالة في بعض الأحيان ، و ليس أدلّ على ذلك من لوحة الطفل الباكي و الموناليزا[3]

ويحاول هوس الذاكرة البحث عن مفاتيح أخرى تساعد على استنطاق صمت النص ،فنجد أن أكثر ما يشغل الحواس الفاعلة هو وجود لوحة على الغلاف ارتفعت من متن السرد المشبع بالكلام و الأوصاف الخاصة بالمكان إلى لوحة اختارها الكاتب أو الناشر لتحمل هموم الرواية ،و ما يريده الكاتب أو حتى الرسام الذي اشتغل على إنتاجها في سياق تعبيري و تشكيلي معين[4] .و الدارس إزاء توقفه أمام لوحة الغلاف و هو يحاول تفسيرها و أخذها في عين الاعتبار لا يعدو أن يكون توقفه إلا وجهة نظر قد تصيب و قد تخطئ، و قد يعود ذلك إلى أن لوحة الغلاف قد تصدر أحيانا دون علم المؤلف حين يُعهد بها إلى أحد الفنانين التشكيليين و المتعاملين مع دور النشر، فيقدمها بحسب ما يتراءى له العمل الأدبي ذاته .فهي وجهة نظر بدورها قد تقترب من الشبه أو تبتعد، فضلا عن " كون أن لوحة الغلاف قد تأتي على شكل رسومات هلامية أقرب إلى طبيعة الطلسم التي تحتاج إلى تفسيرها نصا مغايرًا ، أو افتراضات و أطروحات تبعد ، أو تقترب من جوهر النص"[5] .

1-أبو المعاطي خيري الرمادي ،عتبات النص ودلالاتها في الرواية العربية المعاصرة ،مجلة مقاليد، جامعة ورقلة ، الجزائر ،.ع 7، 2014،ص 293

2- نخبة من النقاد و الأكاديميين ، فضاء الكون السردي ،إعداد و تقديم :محمد صابر عبيد، ص 276

3-أبو المعاطي خيري الرمادي ،عتبات النص ودلالاتها في الرواية العربية المعاصرة ،مجلة مقاليد،ع 7،ص 293.

4- نخبة من النقاد و الأكاديميين،فضاء الكون السردي،ص 277

5- أسامة محمد الشيشني ، أدوات التشكيل الفني في أعمال إبراهيم عبد المجيد الروائية ، الهيئة المصرية للكتاب ،ط 1، 2008،. ص 42

و توقف الدارس هـو الآخـر عنـد لوحـة الغلاف و قراءتـه لهـا لا يبتعـد كثـيرا عن قـراءة الفنان التشكيلي، فهو مجرد وجهة نظر مقدمة من متلق يحاول مـا اسـتطاع الاقـتراب من النص و الخروج من تيهه .

اشتغلت الدراسة على لوحة غلاف الرواية في طبعتها الأولى الصادرة عام 2011 عن دار الجنـوب .وتمثـل لوحـة الغلاف في روايـة " روائح المدينـة " لحسـين الـواد مـدخلًا رئيسيا لتقبل و قراءة العمل، و تكونت من وحدتين ، وحدة أمامية حملت القدر الأكـبر من وظائف الغلاف، ووحدة خلفية لها دورها الذي لا يقل أهمية عن دور الوحـدة الأولى .

حملت الوحدة الأمامية لغلاف مدونة الدراسة أربع وحدات : هي اسـم الكـاتب و العنـوان ، و صـورة الغلاف و اسـم دار النشـر و هي وحـدات أيقونيـة لهـا دلالاتهـا و إشاراتها التي تستوقف المتلقي .

ركزت اللوحة و هي واقعيـة انطباعيـة على حالـة التـأزم و الصـراع الـذي يكتنـف بيئـة عربية بصفة خاصة و على المستقبل المجهول الذي ينتظر أفرادها و جماعاتها ،وتشـير إلى حالة من الضبابية في الرؤية، ووضع غير مستقر ينذر بالانفجار.

وقد جاءت على يسار الواجهة الأمامية للغلاف وتضمنت بنايات مرسومة بريشـة زيتية لكن بشكل مهمل غير متقن تماما، لعله يشير نوعا ما إلى صورة المدينة الكئيبـة المهملة التي ظلت تعاني طيلة الفترات الزمنية و المراحل التاريخية الـتي مـرت بهـا ، كما بدت هذه البنايات متراكمة الواحدة تلو الأخرى للدلالـة على الأجيـال و الحضـارات التي تقلبت على هذه المدينة وتعاقبت عليها . فالبنايات أسفل اللوحة تبدو أكـثر قـدما من غيرها من البنايات الظاهرة في أعلى اللوحة ، يؤكد ذلك كثير من الرمـوز القديمـة التي اعترتها و كـذا اللـون الأصـفر الـذي طغى على ألوانهـا والـذي يـدل على القـدم و التآكل و الكآبة ، و قد أوحى صاحب اللوحة بالبناية ذات اللون الأحمر المتفـردة الـتي تظهر في قلب وقمة اللوحة التي ضمت مدينتـه إلى بدايـة عهـد جديـد لا يقـل بشـاعة عن وخطورة عن سابقيه ..

و قد عكست اللوحة صورة لمدينة تكثر البنايات فيها ،و تأتي متراصة متلاصقة و لكن مصممها عمد إلى إخفاء هذه المعالم و لم يظهرها واضحة محددة الأبعاد وواضحة الألـوان هي صـورة لمدينـة الكـاتب أو مدينـة الروايـة الـتي سـعى الكـاتب إلى كشـف مختلف الروائح التي تنبعث منها، و لعـل كـثرة البنايـات (مصـانع-شـركات-عمـارات و منازل...) هي الـتي سـاهمت في بعث تلـك الـروائح كلهـا ،فجـاءت كثيفـة في الروايـة كثافة بنايات المدينة تختلط و تمـتزج و تنـأى عن العـد و الحصـر كمـا البنايـات الـتي لا يمكن أن يرى واحدها لكثرتها و التجاور الشديد بينها .

صورة الغلاف فيها من الضبابية و عدم الاتضاح ما يثير فضول المتلقي فالمبـاني متلاصقة غير محددة الأبعاد تبدو قديمة تنتشر بصورة فوضوية لا نرى فيها أثـرا لشـارع أو فضاء عمومي ، و شكل المبـاني في حـد ذاتـه لا ينتمي لعصـر الكـاتب فتصـميمها و طبيعة بنائها على غموض الصورة يعود بنـا إلى عصـور سـابقة و إلى عهـود غـير عهـود المدنية الحديثة.

هي صورة لمدينة تختزل في سماتها كل المدن العتيقـة و لعـل في ذلـك تركـيز على مسألة التراث و العودة إلى عصور الماضي الذهبية ،أو هو رغبـة في العـودة إلى تلك الحقبة التي كانت فيها مدينـة الكـاتب رمـز للإخـاء و التعـايش السـلمي بين جميـع

مكوناتها فالبيوت جاءت متلاصقة يتكأ بعضها على بعض بألفة و حنان و أخوة و كأن واضع اللوحة يريد ممن سكنها اليوم " أن يكون وصفه كهذه البيوت شامخا متكاتفا غير متفرق "[1]

من زاوية أخرى تعكس اللوحة صمتا رهيبا يحمل بين جنباته حالة من الغليان الشديد يظهرهُ اختلاط الألوان على اختلافها و تنوعها و كثرتها ، فلا نكاد نميز منها سوى اللون الأسود ، شكل الصورة في حد ذاته لا يبعث على التفاؤل يشعرك بنوع الخوف و يثير في نفسك خوفا من المجهول تنظر إليها فلا تشعر بالارتياح .

و حينما يأتي العنوان مقابلا للصورة (اللوحة) و في وسط الغلاف فإن في ذلك دلالة على أن روائح المدينة تنبعث فيها من كل جانب لا يستأثر طرف من أطراف المدينة الشاسعة المكتظة بالبنيان برائحة ،بل إن هذه الروائح هي سمة المدينة ككل و هو ما يتوافق مع الرأي السابق الذي تجليه كثرة البنايات المتلاصقة الدال على الوحدة و الأخوة المنشودة .

يسعى الكاتب إلى خلق جو من التوازن على سطح الغلاف بين ما يحنّ إليه و ما يأمل فيه و ما يخشاه، فالصورة تختزن بين طياتها كل هذه المشاعر ،و هو ما سعت الرواية إلى تقديمه أو عرض نقيضه، ولعل بروز مساحة الصورة على سطح الغلاف، واحتلالها حيزا لا بأس به دلالة على هيمنة جوها على المتن السردي باعتبارها سلطة خارجية ضاغطة و موجهة تضيء و تهيمن و تنتج جزءًا من وضوح الرؤية العنوانية "[2]

و حين نعود إلى اللوحة تبدو لنا البنايات التي رسمت في الأسفل كئيبة حزينة ملوية العنق و لربما دل ذلك على واقع سكانها حاليا في هذا العهد الجديد ،كما نرى أن المدينة تلفها سماء صفراء و تحتضنها، فلعل المقصود بها شمس المستقبل و الأمل بغد أفضل ،و ماالألوان التي تتخلل سماء المدينة إلا تلاش للروائح القديمة ، وربما دلّ اللون الأصفر الممتزج بألوان أخرى عن ضبابية المستقبل و غياب أفق التوقع فيه .وهو ما يحيل إلى نوع من الغموض ربما قصد به الكاتب إثارة الفضول و التشويق لدى القارئ للاطلاع على الرواية و الغوص فيها .

اشتغلت اللوحة على اللون أيضا فقد احتفى به الغلاف و شكل من خلاله بعدًا إيحائيا واضحًا ،إذ عبرت الألوان التي امتزج بعضها مع بعض معطية لونا داكنا عن صورة قاتمة و مشهد كئيب و عن عتمة القادم المنتظر، فيأتي اللون الأسود فيها ليدل على كآبة المشهد و سوداوية الحال التي تحيط بالفرد العربي في كل الجهات و الأماكن ، في إشارة إلى المآل الذي آلت إليه المدينة و كل المدن في الوقت الحاضر من مأساة حقيقية . و ربما دل اللون الأسود على روائح المدينة التي عبر من خلالها الكاتب عن التحولات الاجتماعية التي طرأت عليها و لم تجلب لها الخير فكان هذا اللون أنسب للتعبير عن نظرة الكاتب السوداوية المتشائمة .كما شكل اللون الخارجي للكتاب الذي تتلقاه عين القارئ منذ الوهلة الأولى وقبل العنوان دورا هاما ساعد المؤلف في إيصال جزئية ما من مضمون و محتوى دراسته ، حيث خصص الكاتب حسين الواد في مؤلفه " روائح المدينة " لون الرماد ليغطي غلاف كتابه و الذي يعبر

1-نخبة من النقاد و الأكاديميين ، فضاء الكون السردي،ص 277

2-السابق ،ص 279

عن تآكل هيكل المدينة وزوال خيراتها بلهيب جشع وطمع أصحاب المـال ،و لعلـه عـبر عن ذلك ضمنيا في الفقرة التي تضمنها ظهر كتابه في جزئه الثاني .
و يمتزج اللون الأسود مع اللونين الرمادي و البني في شكل فسيفساء أشبه بالسراب الذي يمتد على مد البصر محاكيا واقع الفرد العربي في مجتمعه الذي يعيش حالـة من الضياع و التشـتت و ضـبابية الواقـع و الرؤيـة و الموقـف و قـد أدّت الألـوان المشـكلة ملامح الصورة و خلفيتها دورًا في تعميق هذا الاضطراب .
و يدخل ضمن إطار لوحة الغلاف اسم الكاتب الذي يعـد عتبـة مهمـة لا يمكن تجاوزهـا في أثناء قراءة لوحـة الغلاف، لأن وجـوده ينسـب النص إلى مؤلفـه و يضـمن لـه حـق الملكية الفردية، كما أنه يساهم في صـناعة توقـع مبـدئي عن طبيعـة الأسـلوب و لغـة الكتابة و شكل استغلالها في فضاء السرد . و قد جاء اسم الكاتب أعلى صفحة الغلاف يمينا . و نلحظ في أسفل الصفحة أيضـا اسـم دار النشـر الـتي تكفلت بطبـع العمـل و نشره و هي مكتبة " دار الجنوب " بتونس.

وما نلاحظـه أيضـا أن اللوحـة-الصـورة البصـرية - لم تطـغ على الغلاف كلـه لأن الأهم بالنسبة لصاحب الكتاب هـو صـورة الـذاكرة الشـمية لا صـورة الـذاكرة البصـرية فالأولى بالنسبة له تدفعنا لرسـم الثانيـة لا العكس و لـذلك عمـد إلى الوصـف النـابض بالحياة قصد جعلك تتصور المشهد و تتعايش معه.

أما بالنسبة إلى الخلفية فلا تعدو غير كونها محفزة على القراءة و الفضول لـدى القارئ فقد اشتملت على فقرة تلخص موضوع الرواية وترتبط بعنوانها و تشـير إليـه ، و تدعو القارئ إلى إصدار حكمه عليها و لا يأتي ذلك إلا بعد قراءته للعمـل حـتى يكـون رأيه محايدًا و منطقيا ، و في ذلك جرّ للمتلقي نحو مغامرة القراءة و هـو مـا يتنـاقض مع إهداء الكاتب الذي خص به سوى الذي له مدينة كمدينته .كما تضمنت الصفحة نبذة مختصرة عن حياة الكاتب حسين الـواد و صـورة فوتوغرافيـة لـه تنسـب الكتـاب لـه و تؤكده.

2-العنـــوان :

عتبة العنوان هي أوّل ما يواجـه المتلقي من عتبـات النص، لـذلك أضـحت شـغلا شاغلا بالنسبة للمبدع، ذلك أنّ طبيعة العنوان التي تتسّم باقتصاد لغوي كبير فضـلا عن التعقيد الحاصل في مهامه و وظائفه و التكثيف الذي يعتريه ،كل ذلك جعل منه لحظـة حرجة عنـد اختيـاره و صـياغته . لحظـة تـوهب النص الحيـاة مثلمـا قـد تقصـيه و تهبـه الموت.

و قد أبرز (جون كوهين) أهمية عتبة العنوان من خلال حديثه عن دلالة الوصل حين عدّ الوصـل مظهـرا من مظـاهر الإسـناد , فقـال : " إن طـرفي الوصـل ينبغي أن يجمعهما مجال خطابي واحد ، يجب أن يكون هناك فكرة ، هي التي تشكل موضوعهما المشترك ، و غالبا ما قام عنوان الخطاب بهذه الوظيفة إنه يمثل المسند إليه لأن كـل الأفكار الواردة في الخطاب تكون مسندة إليه ، وهـو الكـل الـذي تكـوّن هـذه الأفكـار أجزاءه"[1] .

1- جون كوهين ، بنية اللغة الشعرية،تر: محمد الولي و محمد العمري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب،1986، ص 116 .

و قد اختلفت آراء النقاد حول لحظـة إنشـاء العنـوان .أهي قبـل كتابـة النص .أم بعد كتابته. فإنشاء العنوان قبل النص يجعل الكاتب مجبرًا على كتابة نص يلائم العنوان ، فيصبح حينها العنوان أصلًا و النص فرعًا . أمّا إنشـاء العنـوان بعـد النصّ ففيـه تحفـيز للكاتب على الكتابة ، فيكون العنوان بمثابة الموجّه لأفكار الكاتب و هـو مـا يجعـل من العنوان فرعًا و النص أصلًا ، و هو الرأي الذي يتّجه إليـه أغلب الكتـاب و المبـدعين ،إذ يعمد الواحد منهم على إنشاء نصّه أوّلًا ثم يختـار لـه العنـوان القـادر على اختزالـه في تـركيب أو لفـظ يلائمـه .و لـذلك كلّـه " ينبغي أن يحتـوي العنـوان على بـؤرة التكـثيف المعرفي ، و التركيز الإيحائي ، ويتسّم بالتوالد الدلالي و التنامي الجمالي ، و يعيد إنتاج نفسـه داخـل المتن . و يوجّـه المتلقي و يمـدّه بطاقـات ثقافيـة ، و إمكانـات معرفيـة لتفكيك النص و ضبط انسجامه " [1]

العنوان -إذًا- بناء يتمركز في واجهة النص له دلالاته السطحية و العميقة ،الخفية و المرئية التي نرى من خلالهـا فحـوى النص من ناحيـة ،و نـرى من خلالهـا ملامح نص يوازي النص الأساسي طوال عملية القراءة ،و يرتبط معـه عـبر خيـوط يتحكم الكـاتب في بعدها أو قربها ليبقي على شغف المتلقي. و هذه العلاقة التي تربط العنوان بالنص قـد تكـون تقابليـة أو انزياحيـة، و لا تكـون بالضـرورة ائتلافيـة لكن الغـالب أنهـا علاقـة احتياج،فكلاهما يحتاج إلى الآخر فبدون نصّ يفقد العنوان القدرة على توليـد الـدلالات ، و بدون عنوان لا وجود حقيقي لنص[2]، إذا يفقد هذا الأخير هويته .

" روائح المدينـة " : هـو عنـوان روايـة حسـين الـواد الـذي نـروم اسـتنطاقه و مقاربته . و فيها حاول الكاتب أن يأتي على كثير من التحولات الاجتماعية التي طـرأت على المدينة في فترات زمنية مختلفة بداية من عهد البايات فعهد الحماية و الاستعمار ثم العهد البورقيبي (عهد السيادة و دولة الاستقلال) وصولًا إلى العهد الجديـد (دولـة بن علي) .و إذا ما تأملنـا العنـوان قبـل الغـوص في أعمـاق النص فإننـا واقفـون على معطى شاعري يمنح العنوان قوة إغرائية تجذب المتلقي ليتجاوب مع طاقـات العنـوان الشاعرية و الإبداعية و يتفاعل مع إشعاعاته الدلالية و الجماليـة .ذلـك أن الرائحـة في حد ذاتها – خاصة إذا كانت عطرة – وسـيلة جـذب للآخـر و لأن الكـاتب لم يفصـح عن طبيعتها فقد أبقى على الخيط الذي يشد القارئ لاكتشافها .

و لعل الكاتب قد اختار كلمة رائحـة عـوض كلمـات :عبـق أو شـذى أو عبـير أو عطر التي تقتصر على الروائح الطيبة للدلالة على أن المدينة تمتزج فيها كـل أصـناف الروائح الطيبة و الخبيثة ، و لا تقتصر روائحها على صنف منها فقـط ،وورودهـا بصـيغة الجمع يشير إلى ذلك التنوع و التعدد .

و ربما أشارت الكلمـة إلى مفهـوم آخـر ذلـك أن مقابـل رائح هـو قـادم، ومنـه فالرائحة قد تحمل معنى الذهاب و الغدوّ، وهي كذلك فهذه الـروائح و بعـد أن تسـللت من منشئها راجت و انتشرت في شوارع المدينة فشكلت ملمحـا بـارزا فيهـا. هـذا إذا سلمنا فعلا بأن القارئ قد تبـادر إلى ذهنـه منـذ الوهلـة الأولى أن الكـاتب يتحـدث عن روائح المدينة، فقد اعتاد المتلقي خاصة في الأعمال الإبداعية المعاصرة على كثير من

---

1 - محمد مصطفى كلاب ، عتبات النص في رواية ستائر العتمة لوليد الهودلي.، مجلة البحوث الإنسانية.الجامعة الإسلامية .غزة .مج 25.

2أبو المعاطي خيري الرمادي، عتبات النص و دلالاتها في الرواية العربية المعاصرة ، مجلة مقاليد.،ع 7،2014،ص 295

العناوين المراوغة التي لا تفصح بصورة مباشرة على متونها النصية ، إذ تتقنع و تمارس لعبة التخفي فاسحة المجال لكثير من التأويلات و منفتحة على كثير من الدلالات ،رغم ما في هذا العنوان من تقريرية و مباشرة لا تظهر عند قراءته للوهلة الأولى ،و لكنها تتأكد بعد قراءتنا لمتن الرواية .

و عنوان رواية : " روائح المدينة " هو أول ما يواجه المتلقي على غلاف الرواية فيعطيه انطباعًا أوليا عن موضوعها قبل الولوج في قراءتها ،و هو انطباع لا يتم التأكد منه إلا فور الفراغ من قراءة الرواية. إذ لا يتخيل القارئ أن الكاتب سيركز حديثه فعلا على روائح المدينة المنبعثة من كل أرجائها،و أنه سيأتي على ذكرها رائحة برائحة ،مخالفًا بذلك أفق التوقع لدينا الذي يذهب بنا كل مذهب في أثناء مواجهتنا الأولى للعنوان الذي نعتقد بأنه مراوغ و غير مسالم . ذلك أن كلمة الروائح و التي وردت جمعا في العنوان و بحكم طاقاتها الإشعاعية و الإيحائية تنفتح على كثير من الدلالات و التأويلات، فقد تكون واقعة ماضيا أو يحتمل وقوعها مستقبلا،و قد تكون موجودة مشمومة ،أو يتوقع أن تفوح مستقبلا،و قد تكون عطرة أو نتنة ،كثيرة أو قليلة ،و قد تكون مشمومة عن بعد (فتكون حنينا و شوقا للمدينة) أو عن قرب (فيكون فيه انتقاد و سخرية) ،و هل يعرف مصدرها (فتكون تعرية لواقع ما و كشفا لملابساته) أم مجهولة المصدر (فتكون استشرافا لمستقبل و تحذيرا من خطر محدق) ، ثم هل في استنشاقنا لها و معايشتنا لها معايشة لواقع اجتماعيا ما أو سياسي؟ ثم هل هي هوية و تاريخ؟.... .

وهذه التساؤلات سرعان ما تبدأ في التبدد فور شروعنا في قراءة الرواية ، و تبدأ قراءتنا الانطباعية في الانحسار من خلال وقوفنا عند تلك التعالقات النصية الرابطة بين العنوان – الذي يبدو مباشرا في البداية و لكنه غير ذلك – و بين المقاطع السردية للنص الروائي التي نستشف منها محاولة من الكاتب في إبراز التحولات الاجتماعية التي طرأت على المدينة من خلال الحديث عن الرائحة. و بذلك شكّل العنوان بؤرة ارتكاز الرواية سواء على مستوى الشكل أو التقبل و عتبة مهمة من عتباتها النصية .

و أول ما يلفت الانتباه في العنوان " روائح المدينة " هو كونه قد ورد مكونا من كلمتين روائح : و المدينة . ذات الكثافة الدلالية و الجمالية التي تتلاءم مع مضمون الرواية جاعلا من الأولى مضافة إلى الثانية ، و هو ما يجعل منها – الروائح –لصيقة بالمدينة التي يتحدث عنها الكاتب و سمة بارزة من سماتها تجعل منها مدينة لها خصوصياتها التي تستقل بها عن غيرها من المدن الأخرى . فالعنوان منذ البداية يرسل إشاراته التي تقود المتلقي نحو دلالة استباقية توحي بمسار الرواية و السرد صوب الحديث عن روائح المدينة ،مستنفرا حاسة الشم لدى المتلقي و التي بدورها تستنفر كل حواسه الأخرى لفهم ما يورد عليه و الإحاطة به .

كما يحيل العنوان على نوع من المجاز المرسل الذي علاقته الكلية ذلك أن الرائحة لا تنبعث من المدينة بل من جزء منها : المسجد ، الغرفة ، محل العطور ، الإسطبل ....لذلك و حين عمد الكاتب إلى إبراز الرائحة جمعا ففي ذلك إشارة إلى انبعاثها من كافة أرجائها، و أن الجزء في هذا المجاز ليس واحدا بل أجزاء كثيرة كثرة روائح المدينة .

وإذا كان العنـوان علامـة لغويـة تـؤدي دلالالتهـا فـإن عمليـة التواصـل العنـواني للعنوان لا تتم بشكل عشوائي للخطوط المستعملة، بل تتوسـل بمـؤثرات جماليـة من حسن الخط و اختيار اللون كونهمـا يحملان طاقـات تأثيريـة على المتلقي. لـذلك فـإن رسم الخط فعل مقصود و يحمل الكثير من المؤشرات التي تحيل إلى صاحب الخط و شخصيته [1]. فقد كتب لفظ العنوان بلون غامق و بخـط أكـبر من الخـط الـذي كتب بـه اسم المؤلف و دار النشـر ، فـدلّ ذلـك في اعتقادنـا على عمقـه و كثافـة مدلولـه بمـا يوحي بكثافة الروائح المتحدث عنها ،كما أننا لم نجد فيـه ميلانـا أو تضـليلا ، و لعـل في ذلك إشارة إلى ثبات الشيء (الرائحة) التي تعايش معها أهل المدينة ،و بقائها صامدة و شاهدة على تاريخ المدينة ،راسمة صورة مميزة لها بين المـدن الأخـرى رغم تـوالي الأزمنة و العصور.

أما القيمة الدلالية للألوان فنستشعرها في اللون الأسود الذي كتب به العنوان و الذي يحيل على نظرة سوداوية متشائمة و تعطي إشارات دالة على أن هذه المدينة غارقـة في أوحـال اجتماعيـة و سياسـية كثـيرة لا سـبيل إلى الفكـاك و الخلاص منهـا ، و قـد توسط العنوان يمين أيقونـة الغلاف الـتي تظهـر صـورة المدينـة ليكـون دالا على كـل روائح المدينة التي أتى على ذكرها السارد في متنه السردي .

في الختام يمكن القول أن الكاتب قد وفق إلى حدّ ما في اختيار عنوان روايتـه الذي كان أقرب إلى المباشرة منه إلى الإشارة و التلميح و الترميز ،رغم أنـه لم يعـدم شيئا من هذا القبيل من خلال حديثه عما اعترى المدينة من تحولات اجتماعية على مرّ العصور التي تخللتها ، فلم يرد الكاتب أن يتعب المتلقي كثـيرا و يسـتنزف طاقاتـه في فك شفرات العنوان فاختار هذه العتبة بكـل وعي بـالفكرة و عنايـة بالموضـوع محققـا بذلك " فاعلية التنوير و التثوير التي أوجدت فاعلية التشويق للدخول في ثنايا المقاطع السردية " [2] ، و لم يشأ أن يـواري عنوانـه داخـل النص و يخفيـه فوضـع عنوانـه "روائح المدينـة" متحـدثا عن روائح المدينـة لعلمـه بـأن مـا احتـواه الكتـاب أكـثر أهميـة من العنوان ،و أن في الكتاب من الأمور التي تشغل القارئ أكـثر من الأمـور الـتي تشـغله بعنوان الرواية ومدى ملاءمته أو عدمها .

3-الإهـــــــــــــداء :

وردت لفظة " الإهداء " في لسان العرب مأخوذة من " الهدية " فيقـال : أهـدى فلان أي قدم إليه هدية،و الهدية مـا أتحفت بـه و في الحـديث تهـادوا تحـابوا و الجمـع هدايا و هداوى ، و امرأة مهداء إذا كانت كثيرة الإهداء، و كذلك الرجل مهداء من عادته أن يهدي [3] و هو ما يبرز الوظيفة الاجتماعية للإهـداء من خلال تحقيقـه لـذلك التواصـل بين الأفراد و الجماعات ،و من ذلك بين المبدع و المتلقي و بذلك حمل معاني المحبة

1- بولرباح عثماني ، سيميائية العنوان في ديوان خبر كان ، مجلة مقاليد ،جامعة ورقلة ، الجزائر ،.ع 7، 2014،ص 215

2-محمد مصطفى كلاب ، عتبات النص في رواية ستائر العتمة لوليد الهودلي،مجلة البحوث الإنسانية.الجامعة الإسلامية .غزة .مج 25.

3- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)،لسان العرب،مادة (هدي) ، ج 15، دار صادر ، 2003

و الاحتفاء والاحترام و التقدير من قبل المؤلف إلى المهدي إليـه/إليهم ،و أوحى بعمـق الارتباط و قوة التفاعل بينهم[1] . وهو كذلك بحسب جـيرار جيـنيت Gérard Genette الذي يرى بأن الإهداء يهدف إلى خلق نوع من صلات الأخوّة و روابط المـودة و تمـتين عراها[2] بين المهدي و المهدى إليه. " و من هـذا المنظـور يـأتي الإهـداء كبوابـة حميمـة دافئة من بوابات النص الأدبي، و قد يرد على شاكلة اعتراف و امتنان و شكر و تقــدير و رجاء و التماس ...إلى غير ذلك من الصيغ الإهدائية التي يؤدى فيهـا البعـد الوجـداني الحماسي و الحميم دوره المميز "[3].

فالإهداء- إذا- ممارسة اجتماعية داخل الحياة الأدبية يسـتهدف عبرهـا الكـاتب مُخَاطبـا معيّنا ،ويشدّد على دوره في إنتاج الأثر الأدبي قبل و بعد صدوره. و على هذا الأسـاس لا يخلو الإهداء من قصدية سواء في اختيار المهدى إليه أو في اختيار عبارات الإهداء و شكل ديباجته "[4]

والإهداء بنوعيه الخاص والعام تقليـد محمـود متبـع في مجـال التـأليف والإبـداع، وقد حظيت هـذه العتبـة النصـية الـتي تحمـل داخلهـا إشـارات ذات دلالات توضـيحية[5]، بالدراسة والتحليل في العصر الحديث لإبراز قصديته سواء في اختيـار المهـدى إليـه / إليهم أو في اختيار عبارات الإهداء في حد ذاتهـا، وذلـك لأهميتـه كعتبـة تسـلط الضـوء على المتن ،وكذا " لما يحققه من وظائف متنوعة أبرزها ما يسفر عنه كأول ما يحتـك به المتلقي من تحية ود ومشاعر طيبة تعينه على المضي في القراءة، كمـا أنـه يـروم إلى خلـق نـوع من العلاقـة وروابـط الصـداقة بين البـاث والمتلقي، فلا يكـون أول مـا يصدمك من المؤلف حقائقه العلمية والمعرفية ،بل تحية و هدية تشرح النفس وتهـدئ الروح وتعين البال على اسـتقبال وفهم المقـال "[6].وعليـه فليس الإهـداء في نصوصـنا الشعرية و السردية المعاصرة مجرّد تحشية زائـدة بقـدر مـا يضـطلع بـه من وظـائف عـدّة، إذ يسـاهم في إضـاءة النص وكشـف بنياتـه الصـوتية و الصـرفية و التركيبيـة و البلاغية و تحليل آلياته الدلالية و مقصدياته.[7]

كما أن للإهداء غايات أخلاقية و تربوية تتجلى في تلـك الإهـداءات الخاصـة الـتي تسـتهدف ذوي القــربى ومن لهم حظـوة خاصـة لـدى الكـاتب ، ولـه أيضـا غايـات أيديولوجيـة من خلال تضـمينه لحالـة الغليـان الاجتمـاعي و المـد السياسـي و حـالات الانكسار التي يعيشها الكاتب و خيبة أمله في الحلم بمجتمع عـادل حـر وديمقـراطي ، فضلا عن غاية البوح و المكاشفة حين تتمكن الـذات من التنفيس عمـا يجيش بـداخلها من تناقضات يرتئي الروائي تكثيف مضمونها في خطاب الإهـداءات الذاتيـة على وجـه

1- محمد مصطفى كلاب.عتبات النص في رواية (ستائر العتمة) لوليد الهودلي.مجلة البحوث الإنسانية.الجامعة الإسلامية .غزة .مج 25 .2017.ص 8

2-Gerard Genette,Seuils,collection poetique,ed,seuil,1987,p66

3-نفسه ،ص 199.

4 - عبد المالك أشهبون ،عتبات الكتابة في الرواية العربية، الحوار للطباعة و النشر و التوزيع ،اللاذقية ، سوريا ،ط 1، 2009،ص 199.

5 - حسن محمد حماد، تداخل النصوص في الرواية العربية،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،دط،دت،ص 64.

6 - سعيد الأيوبي، عتبات النص في ديوان " آدم الذي ... "، للشاعرة حبيبة الصوفي،مجلة علامات، ع 19، 2003، ص 49.

7- نفسه، ص 55

الخصوص [8].و نذكر من وظائف الإهداء أيضا الوظيفة الإغرائية التي تكمن في جذب المتلقي ،و كسب فضول القارئ لشراء الكتاب و قراءة العمل و تلقي النص[2].

و حين نقرأ إهداء حسين الواد في روايته " روائح المدينة " نجد أنفسنا أمام إهداء خاص و متميز لم نعهد مثله كثيرا في ما قرأنا سابقا من أعمال أدبية و نقدية مختلفة لا من حيث طبيعته و لا من حيث وظيفته ،حيث جرت العادة أن يتقدم المؤلف بإهدائه إما إلى مهدى إليه / إليهم خاص, سواء أكان هذا المهدى إليه شخصية معروفة أو غير معروفة لدى العموم، لأن الدافع إلى الإهداء هو تلك العلاقة الودية التي تربط بين المُهدي والمهدى إليه ،سواء أكانت علاقة صداقة أو قرابة أو غيرها ... وإما أن يُهدي المؤلف كتابه إلى شخصية أكثر أو أقل شهرة يبدي المؤلف نحوها وبواسطة إهدائه علاقة ذات ربط عمومي ثقافي وفني أو سياسي وغير ذلك.

لم نعثر على أيّ شيء من هذا القبيل في ثنايا الإهداء الذي صدّر به الكاتب روايته ،إذ لم يتوجّه به إلى أي نوع من أنواع المهدى إليه/إليهم بصورة محدّدة،حيث نقرأ قوله في مستهل روايته :

" من ليس له مدينة كمدينتي لا يصلح له هذا الكلام ". فإذا كانت الإهداءات التقليدية عادة ما تتوجه بخطاباتها إلى أشخاص محدّدين كالوالدين أو الزوجة و الأبناء و الأخوة و الأخوات و الأصدقاء و الزملاء ... بلغة مباشرة تجعلنا لا نعيرها اهتمامًا، فإن هذا الإهداء خالف المألوف باعتماده نوعا من لغة التخفي الدلالي حين جاء التحديد هاهنا عائما ،فقد حدّد ضمنيا كل أفراد مدينته و لم يستثن غيرهم من أفراد المدن الأخرى ممن تشبه مدنهم مدينته،وهو ما أكسب هذا الإهداء أهميته نظرا لكونه يحيلنا للعلاقة التي تربط بين المهدي و المهدى إليهم (أهل المدينة) و المدن التي تشبهها، وهي العلاقة التي يفوح منها عبق الوفاء،والتي قد تكون كذلك علاقة انتماء و حبّ و انجذاب للمكان الذي هو أقرب ما يكون الوطن و أبناءه . و لكنه في الوقت ذاته يؤدي وظيفة تأثيرية حين يحرض المتلقي عامة و يثير انتباهه و يسترعي فضوله ،فيجذبه إلى قراءة العمل بطريقة غير مباشرة حتى يعرف أحقيقة لا يصلح له هذا الكلام أم أن الكاتب قد أخطأ التقدير ؟ فشكل بذلك لديه خطابا تحفيزيا يستنفر همته و يشحذ عزيمته بحثا عما يجعله غير مقصود بهذا الكلام و بهذا الخطاب أو بتلك الروائح التي تفوح من المدينة، لذلك فقد ضمن المؤلف قدرا من المقروئية لكتابه، ففضلا عن الفئات المستهدفة و هم أهل المدينة و غيرهم ممن تشبه مدنهم مدينة الكاتب فإنه قد ضمن كذلك مقروئية من أثار لديهم الفضول عن سر استثنائهم وعدم توجهه بالخطاب لهم .

و هو ما يجعلنا أمام عتبة نصية محكمة التأثيث، وأمام كاتب ماهر أتقن هندسة مبنى روايته،وهي لعبة فنية مقصودة وتهدف إلى زعزعة توقعات القارئ و أفق تلقيه، فضلا عن إثارة لذّته و استدراجه لمتابعة فعل القراءة .

ذلك أن الإهداء في حقيقة أمره لا يعدو إلا أن يكون رسالة طرفاها :(مرسل :المهدي =المؤلف)و مرسل إليه (المهدى إليه) .و أمام هذا الإهداء الذي نروم مقاربته نجد أن حسين الواد لم يهد إلى المهدى إليه النسخة فقد ، وإنّما أهدى إليه الطبعة كاملة . و في هذه الحالة فإن القارئ/المتلقي سيقرأ هذا الإهداء حتما و

1-عبد المالك أشهبون ، عتبات الكتابة في الرواية العربية ، ص 240

2- جميل حمداوي ، شعرية النص الموازي ، منشورات المعارف، الرباط ، المغرب ، دط، 2014، ص 110.

ستصله الرسالة ،فيصبح بالضرورة معنيا بالإهداء أيضا ومستهدفا بخطابه و حاضـرا في حدث من الأحداث كفعل عمومي بمـا تبعثـه فيـه الرسـالة (الإهـداء) من تـأثيرات و شحنات . و يمكن أن نمثل لذلك بالخطاطة الآتية :

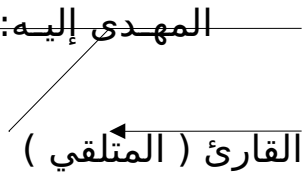

و هو ما جعل الإهداء يتجاوز كونه رسالة من مؤلف إلى مهـدى إليـه خـاص بـل إلى جمهور عريض من القراء عامة . و هو في هذه الحالـة يـؤدي وظيفـة تأثيريـة حين يحرّض المتلقي و يثير انتباهه و يجذبه إليه بطريقة أدبية جميلـة عـبر ملفوظـه مشـعرا إيّاه بان هذا الإهداء له أيضا وبأنه سيجد ذاته فيه، فيسارع إلى قراءة العمل .

و نشير في الأخير إلى أمر مهم بإمكانه أن يفقـد الإهـداء الـذي بين أيـدينا واحـدة من أهم وظائفه الأساسية، حين لم يتوجّه إلى قارئ معين ليقيم معه ميثاقـا ضـمنيا يـدعوه إلى مساندة المبدع ودعمه ،أو مناقشته فيما ذهب إليـه وإبـداء الـرأي في ذلـك ،و في أدنى المستويات التفضل و التكرم بقـراءة العمـل تعبـيرا عن اسـتحقاقه بولـوج فضـاء المؤسسة الأدبية و مجال التبادلات الثقافية. " و هو المقصد الذي يحيـل دومـا –وعلى الأقل –على كل من المهدى إليـه و القـارئ مـا دام الأمـر يتعلـق بفعـل عمـومي يؤكـد حضور القارئ ودوره في فهم خصوصية العمل وعوالمه الممكنة، و هـذا مـا يجعـل من الإهداء إعلانا لعلاقة بين المؤلف و شخص ما ، وفي هـذا تأكيـد على دور المهـدى إليـه حين يقدّم قليلا من دعمه و مشاركته "[1].

وهناك أمر آخر قد يفقد هذا الإهداء بعضا من أهميته وشيئا من وظيفته وهـو كونـه لم يـأت مرتبطـا بالسـرد و لم يكن لـه امتـدادات في ثنايـا الرواية، **ذلك أن الإهـداء باعتباره عتبة من عتبـات النص هـو حلقـة وصـل بين الـداخل و الخـارج ، وهو لا يشكل "جزءا حقيقيا من النص ،بل عتبة تفصل بين النص و خارج النص (ما هو مكتوب عن النص) يعبرها الـداخل لا في اتجـاه واحـد بـل في الاتجاهين .إنها مكان مميّز عمليا واسـتراتيجيا للتـأثير في الجمهـور سعيا وراء استقبال أفضل للنص، وفهم يوافق مقصد الكاتب " [2]**

<u>المقدمـــــة :</u>

تعدّ المقدمة مكونا أساسيا من مكونات خطاب العتبـات النصـية لاعتبـارات منهـا ما يرتبط بشكلها ،ومنها ما يرتبط ببنائها. و إذا كان النص قد حظي باهتمـام البـاحثين ، فإن خطاب المقدمات وبرغم ما أحيط به من دارسات في العصر الحـديث، واهتمـام متزايد من قبل النقاد و الباحثين وعيا منهم بوظيفته في إثارة اهتمام المتلقي و توجيـه قراءته، إلا أنه لا يزال في حاجة إلى مزيد من الدرس و إمعان النظر لمـا يمثلـه هـذا الخطاب من أهمية في علاقته بالنص و فعل القراءة . ذلك أن التعامل غـير الآبـه بهـذا

1-أسامة محمد الشيشني ، أدوات التشكيل الفني في أعمال إبراهيم عبد المجيد الروائية ، ص 58

2 - عزوز علي اسماعيل ، عتبات النص في الرواية العربية ، دراسة سيميولوجية سردية ، الهيئة المصرية للكتاب ، 2013،دط ، ص 336-337

المحفل النصي سينعكس سلبا على طبيعة تلقيه [3]. ومن هنا تبرز أهمية قراءة هذا النوع من الخطابات ومحاورته و مساءلته مساءلة نقدية واعية .

ويمكن الحديث في النقد المعاصر عن أنواع من المقدمات التي يتم بها الاستفتاح : [1] فهناك المقدمة الذاتية و المقدمة الغيرية و المقدمة المشتركة .

فالمقدمة الذاتية هي التي يكتبها الكاتب أو المبدع بنفسه، حيث يقدّم من خلالها " رؤيته و بعض الإضاءات التي تنير سبيل المتلقي فيحقق بذلك وظيفتين متلازمتين : وظيفة إشهارية ووظيفة إشعاعية لبعض الجوانب التي لا يعرفها سوى الكاتب "[2].

والمقدمة الغيرية هي التي يكتبها الآخر و غالبا ما يكون ناقدا أو باحثا أو دارسا .

أما المقدمة المشتركة فهي التي يشترك فيها الكاتب مع غيره . و غالبا ما يكون مجالها جنس الرواية .

و بالعودة إلى مقدمة هذه الرواية " روائح المدينة " للكاتب حسين الواد فإننا واجدون أنفسنا أمام مقدمة غيرية ليست كالمقدمات التي عهدنا فقد جاءت مقامة في أسلوبها و في عنوانها، و الأصل في التقديم أن يكون بأسلوب مباشر يهدف إلى تأمين قراءة جيدة للنص ،و ورود أسلوبها على ذلك النحو لم يكن ليساعد عملية التلقي و يعين القارئ بإمداده بعض مفاتيح هذه الرواية و إن لم تعدم كثيرا من الاشارات الدالة في النص و المحيلة عليه .

وضع مقدمة هذه الرواية الأستاذ محمد صلاح الدين الشريف و قد ارتبطت هذه المقدمة الغيرية التي احتلت الصفحات من ص 9 إلى ص 23 باللحظة التي صدرت فيها الرواية في طبعتها الأولى و انفتحت فيها على القراء في صيغة كتاب يضم بين دفتيه روائح المدينة الكثيرة " و إذا كانت الوظيفة التمهيدية تمارس على القراء بغرض خلق وضعية تداولية ملائمة فإنّ الخطاب المقدماتي عمومًا لن يجد مناسبة لمصاحبة النص أفضل من مناسبة صدوره في كتاب مطبوع "[3]

وعلى هذا الأساس وجدنا هذه المقدمة كعتبة نصية و كمكون بنائي من مكونات النص تكتب بعد تحريره و تأتي مصاحبة له في رحلة تلقيه و تأويله و هي بناء على ذلك تأخذ صفة التقديم الأصلي . و في ضوء ذلك تسعى إلى تهيئة ظروف استقبال النص و تأمين تداوليته رغم ما اعترى أسلوبها من خروج على مألوف أسلوب تقديم النصوص .

و قد سار مقدم هذا العمل في هذا الاتجاه فأمكن لنا اعتبار تقديمه للرواية تمهيدًا لتلقي العمل الإبداعي بانيا تقديمه في بعض أجزائه على أسئلة العلة و الكيف و الهدف التي تعين على وصف الكتاب و إظهار مفاتيح قراءته .

و نحن نقارب هذا الخطاب التقديمي بدا لنا أنه خطاب وصفي سعى من خلاله المقدم إلى وصف أجزاء الرواية دون أن يعطي طريقة لتلقي هذا العمل . و قد استهل الكاتب مقدمته باعتبار خطابه حاشية على متن و حاشية النص أو الكتاب ما علّق عليه من زيادات و إيضاح، و لكنها ليست بالضرورة تفسيرا له ،و هو ما أراد أن

---

3 -عبد المالك أشهبون ، عتبات الكتابة في الرواية العربية ، ص 20.

1-جميل حمداوي ، شعرية النص الموازي ،منشورات المعارف، ص 199.

2-شعيب حليفي ، هوية العلامات في العتبات و بناء التأويل ،الشركة الجزائرية السورية للنشر و التوزيع و دور نشر أخرى،ط 1،2013،ص 64.

3- نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنّشر, الدار البيضاء, ط 1, 2007،ص 64.

ينبه إليه المقدّم الذي لم تكن غايته تفسير النص أو ضمان قـراءة جيـدة للنص و تهيئـة لظروف تلقيه بقدر ما كانت وصفية تلتزم نوعا من الحياد فاسحة المجال أمام القـارئ ليقول كلمتـه في النص بكـل موضـوعية، " و الحقيقـة أنّـه منـذ مـا كـانت الحواشـي و المتون ، لم تكن هذه كتلك ، فقد أصاب القدماء إذ علموا أن القـول على القـول قـول آخر " [1]

و هذه الرواية حسبه لا تقدم نفعًا للمتلقي أو علمًا لكن فيها قولًا لم يقل و رواية للواقع مختلفة صبغتها تلك الروائح التي سنشمها عند قراءة الرواية دون أن يدعي أنّـه سيحاورها أو سيسائلها مساءلة نقدية كعادة كثير من المقدمين ،" فليس في ما أقولـه عن هذا الكتاب غير ما انطبع في النفس من سمع قول لم يقل و رؤيـة مـا في الواقـع لم تقع ... و الأصل كل الأصل روائح لم تشم شممنا روحها عند قـراءة الكتـاب " [2]، ثم يقول " فهذا الـذي بين يـديك فنّ فنّـان لـبيب ، و قـول قصّـاص أديب وقـع عنـد قـارئ أطربـه المقـال في المقـام ،فاسترسـلت بـه عـواهن الكلام : فنّ بفنّ لعلّـه يحـرّك الظريف و الفطن ، فليس في كلامنـا تحليـل يفـكّ شـفرة بالغـة التعقيـد ، و ليس في الروائح ألغاز لأجلها تشقّ شفرة بشفرة للكشف عن سـرّة الأسـرار بسـلطة العلـوم و دقّة الدليل "[3]

هو تأكيد من طرف المقدم بخروج التقديم عن صـورته المألوفـة و عن وظيفتـه المعروفة إلى اللجوء إلى هذا الأسلوب الذي يحتفي باللغـة و أسـرارها و جمالهـا فقـد هزّه الإعجاب بأسلوب الرواية و ما فيها من متعة لغوية . و مع ذلك فإن في هذا الكلام حكما نقديا و انطباعًا حول لغة الرواية و أسلوبها و فيه دعوة للمتلقي، و لفت لانتباهـه لاقتحام عـوالم الروايـة الغارقـة في فيض من الجمـال اللغـوي و الأسـلوب الرصـين . لذلك لا تخلو هذه المقدمة في كل حال من الأحوال من إشارات -و إن لم تكن كثـيرة- عن الروايــة و لغتهــا و موضــوعها ،" ذلــك أن المقدمــة و لئن انفصــلت عن النص و استقلت بـذاتها و بنت قوانينهـا و أسـئلتها الـتي لا تخلـو من خصوصـية فهي تبقي على كثير من الخيوط الخفية التي تصلها بـالنص و تكشـف عن جدليـة الانفصـال و الاتصـال التي تشي بفعل المعاضدة الذي تنهض به المقدمة " [4]

لـذلك لجـأ المقـدم بعـد ذلـك إلى تقـديم خطـاب واصـف للروايـة متحريـا فيـه الموضوعية و الحياد ،فاسحا المجال أمام القـارئ الحصـيف الـذي لـه نظـر للبحث عن تأويل للنص مشيرا إلى أن أبطال هـذه الروايـة الـروائح ،ثم راح يبحث عن اشـتقاقات الكلمة اللغوية و فروعها و تصريفاتها دون أن يتبع ذلك بشـرح لهـا ، ثم ذكـر أن مدينـة الروائح هـذه عجيبـة و لا نعـرف لهـا موقعـا جغرافيـا محـددا ميزتهـا روائحهـا ،ثم حـدد فصولها الستة عشر ووصف لغتها بالسهلة الميسورة التي لا صناعة فيها والغارقــة في بحر الحداثة ، والتي لم يكن همها تفاصيل الحكاية بقدر ما كان غرضها السـرد في حـد ذاته و المتعة اللغويـة، فبـالروائح مـع قليـل من الأحـداث و شـيء من بحـر اللغـة في أزمنة و أمكنـة مختلفـة تشـكلت هـذه الروايـة و شـقت طريقهـا و احتلت مكانتهـا في المشهد الأدبي، كمـا أشـار المقـدم و هـو يسـتعرض الروايـة إلى عـدم اشـتمالها على

1-مقدمة الرواية ، ص 16
2- مقدمة الرواية ، ص 11
3 - مقدمة الرواية ، ص 12
4- رضا بن حميد ، عتبات النص في حدّث أ بو هريرة قال ...- المقدمة والتمهيد - ، مجلة الخطاب ، ع 19، منشورات مخبر تحليل الخطاب ،جامعة تيزي وزو ، جانفي 2015، ص 9.

وحدتي المكان و الزمان " قديم حالم صادق ، ووسيط يقظ غارق ، و حديث كاذب واعد مصبح على زئبق فالت " [1]
و في ذلك إشارة و تداخل بين التقديم و أحداث الرواية التي تتحدث على تلك التحولات التي عرفتها المدينة في فصول أربعة : عهد البايات ثم عهد الاستعمار و الحماية ثم عهد دولة الاستقلال و السيادة أو العهد البورقيبي ،فدولة العهد الجديد .

ثم عرج الكاتب ابتداء من الصفحة 17 في المقدمة على روائح المدينة المنبعثة من عديد الأمكنة فيها و التي شكلت فصول الرواية الستة عشر ،و أتى السارد على ذكرها و قد سماها المقدم مقامات بدءا بالروائح التي تنبعث من المسجد و ميضأته فالسوق فالمنازل فالحمام .... وصولا إلى تلك الروائح التي تنبعث من مجمع الفواضل و ملحة الموالح في سبخة الحيات و العقارب.

في ختام تقديمه أشار المقدم أن الراوي توقف عند هذا الحد في الرواية مدعيا أن له حفيدا لديه من هذه الرواية بقية . ولا يفيدنا ذلك في شيء سوى أن الرواية قد يكون لها جزء ثان، و قد كان و صدر فعلا. و نستشف من كلام المقدّم عن الراوي ووصفه له أنّ حاسة الشم عنده تؤدي وظائف عدّة كاللمس و البصر و السمع... " أمّا داؤه و دواؤه ففي الشمّ. فهو مثلنا يشمّ. لكنّه يشم كمن يسمع و يرى . فليس المشموم مشموما في مدينة المشموم ، بل مرئي و مسموع ...روائح تولد و تموت ،روائح ذات أفعال و صفات "[2] وتتداخل هذه الوظائف التي يؤديها الشم لدى الراوي مجتمعة مع ما ذهبنا إليه من أن الروائح التي يصفها الكاتب ماهي إلا تعبيرا عن تلك التحولات الاجتماعية و السياسية التي أصابت المدينة في فترات متعاقبة من تاريخها أتى الكاتب على وصف مظاهرها وانعكاساتها بأسلوب لاذع متهكم ساخر تتخلله نظرة سوداوية و رؤية متشائمة منبعها الخوف على مستقبل هذه المدينة التي يستكثر فيها الأجوار اسم المدينة.

ويمكن القول بناء على ما تقدم أن هذه المقدمة لم تتضمن سوى خطاطة مختصرة لأبرز مواد الكتاب و أهم فصوله قصد وضع القارئ في المدار المعرفي للنص و تهيئته نفسيا و ذهنيا لكي يجيد فهمه و يحسن تلقيه و يتقبل ما ورد عليه من مواده ،و لكنها لم تنتج خطابا واصفا لمتن الكتاب تبين فيه فضلا عمّا ذكرنا طبيعة الموضوع و مجاله المعرفي و حداثة الفكرة أو عدمها ،فضلا عن الحديث عن الدواعي الذاتية و الموضوعية التي دفعت بالمؤلف إلى الخوض في الكتابة، و الإشارة إلى المنطلقات النظرية الموجهة لتصورات الكاتب و أحكامه و الضوابط المنهجية التي تحكمت في طرق عرض الأحداث و تحليلها و الدفاع عنها .

هذا و قد بدا لنا و نحن نقارب هذا الخطاب التقديمي أن فيه شيئا من التقريظ ،لأن ما نستشفه من كلام المقدم هو تفاديه الخوض في مسائل نقدية بحته قد يصل من خلالها إلى خلاصات قد لا ترضي صاحب العمل الروائي أو تجعل صورته مهتزة منذ البداية . و تلك خصوصية من خصوصيات التقديم الغيري بصفة عامة ،ذلك أن من وظائف التقديم الترويج للعمل و التوجيه إلى مكامن جدواه و طريقة تلقيه عن طريق فعل خطابي لا يبرز ما هو كائن فقط ، بل ما يجب أن يقتنع به مما هو كائن بهدف إقناع المتلقي و التأثير فيه . و هذا النوع من التقديم يأتي في الغالب " عبارة عن

1-المقدمة ، ص 16
2 -السابق، ص 21

رسالة محمّلة بمجموعة من الإشارات و الإيحاءات الصغيرة التي يثيرها المقـدّم بصـدد الأثـر الأدبي، دون أن يصـل التقـديم إلى تخـوم النقـد الجـارح أو تخـييب أفـق انتظـار المقدّم له ما عدا بعض الإشارات أو الوخزات الصغيرة التي تمسّ جانبا ما من جـوانب العمل الأدبي " [1] .

ذلك أن هذا الخطاب الذي نتلمس خيوطه في ثنايا هذا العمل الإبداعي ،" و إن بدا في ظاهره يترك حرية الإقبال على الكتاب أو الإعراض عنـه فإنـه في باطنـه دعـوة حـارة إلى ممارسة فعل القراءة بوصفه يحي النص فيحي الذات " [2]

هذا و لم تعيّن هذه المقدّمة قارئها على غرار ما عهدناه في كثير من الأعمال الإبداعية و النقدية ، كما أنها لم تسع إلى تجنّب صنف من القراء لا تودّ وصول النص إليهم .

رتبت المقدمـة موضـوعات الكتـاب وفصّـلت فيـه ،فسـاعدت القـارئ المسـتعجل في التوجه إلى ما يبحث عنه و يرغب في الاطلاع عليه و يتخطى ما لا يرغب فيه.

خاتمة :

دلت صياغة العتبات النصية في رواية روائح المدينة للكـاتب حسـين الـواد على براعـة الكاتب اللغوية و الفنية ، و قد أفصحت عن ذلك هذه الدراسة التي انتهينا فيهـا إلى مـا مؤداه أن الكاتب حسين الواد قد أولى اختيار عتبات نصـه حظـا من العنايـة و أحسـن استثمارها بما يفي بالتعبير عن تجربته الإبداعية، إذ أنه لم يضعها بصورة اعتباطية تخلو من الدلالة، و لا تحمل قيما جمالية أو فكرية بل ربطها بخيط يصل بينهـا و بين مقـاطع روايته السردية خصوصا على مستوى لوحـة الغلاف و العنـوان و التقـديم، ودارت في فلـك البنيـة المركزيـة للنص الـروائي الـذي عـبر فيـه الكـاتب من خلال روائح مدينتـه الكثيرة عن كثير من الظواهر و التحولات الاجتماعية التي عرفتها مدينته . و مثلت تلك العتبات أنساقا فكريـة منتجـة لـدلالات مصـاحبة لدلالـة المتن السـردي محققـة بـذلك مسارا تواصليا يحفز المتلقي على الإقبـال على قـراءة الروايـة بمـا انطـوت عليـه من حمولات و دلالات و إشارات باعثة على جدوى الإبحار في ثنايا هذا المتن السردي. كما تحققت أهمية تلك العتبات من خلال ما أدته من وظائف تداولية وإغرائيـة و تسـويقية ، حين أثارت في نفس المتلقي الفضول و جذبتـه صـوب الكتـاب عـبر بوابـتي الإهـداء و العنوان ، و كذا التقديم الذي احتفى في بعض منه بلغة الكـاتب و إمكاناتهـا البلاغيـة و الجمالية و لا أدل على ذلك مما لاقته الرواية من إقبال واسع على اقتنائهـا من طـرف القراء و جمهور الباحثين.

قائمة المصادر و المراجع :

أولا: المصادر:

-حسين الواد ، روائح المدينة، دار الجنوب للنشر،تونس، ط 1،2010

ثانيا : المراجع العربية:

1-أبو الفضل جمال الدين محمـد بن مكـرم (ابن منظـور)،لسـان العـرب،مـادة (هـدي) ، ج 15، دار صادر ، 2003

2-أبو المعاطي خيري الرمادي ،عتبات النص ودلالاتها في الرواية العربيـة المعاصـرة ،مجلـة مقاليـد، جامعة ورقلة ، الجزائر ،.ع 7، 2014.

1-عبد المالك أشهبون ،عتبات الكتابة في الرواية العربية، ص 132

2- رضا بن حميد ، عتبات النص في " حدّث أبو هريرة قال" ، - المقدمة والتمهيد - ، مجلة الخطاب ، ع 19،ص 12.

3- أسامة محمد الشيشني ، أدوات التشكيل الفني في أعمال إبراهيم عبد المجيد الروائيـة ، الهيئـة المصرية للكتاب ،ط 1، 2008.
4-بولرباح عثماني ، سيميائية العنوان في ديوان خبر كان ، مجلة مقاليد ،جامعة ورقلـة ، الجزائـر ،.ع 7، 2014.
5-جميل حمداوي ، شعرية النص الموازي ، منشورات المعارف، الرباط ، المغرب ، دط، 2014.
6-جون كوهين ، بنية اللغة الشعرية ،تر: محمد الولي و محمـد العمـري ، دار توبقـال للنشـر ، الـدار البيضاء ، المغرب،1986
7-حسن محمد حماد، تداخل النصوص في الرواية العربية،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،دط ، دت.
8-رضا بن حميد ، عتبات النص في حدّث أ بو هريرة قال ...- المقدمة والتمهيد - ، مجلة الخطاب ، ع 19، منشورات مخبر تحليل الخطاب ،جامعة تيزي وزو ، جانفي 2015.
9-سعيد الأيوبي، عتبات النص في ديوان " آدم الذي ... "، للشاعرة حبيبة الصوفي،مجلة علامـات، ع 19، 2003.
10- شعيب حليفي ، هوية العلامات في العتبات و بناء التأويل ،الشركة الجزائرية السـورية للنشـر و التوزيع و دور نشر أخرى،ط 1،2013.
11-عبد المالـك أشـهبون ،عتبـات الكتابـة في الروايـة العربيـة، الحـوار للطباعـة و النشـر و التوزيـع ،اللاذقية ، سوريا ،ط 1، 2009.
12-عزوز علي اسماعيل ، عتبات النص في الروايـة العربيـة ، دراسـة سـيميولوجية سـردية ، الهيئـة المصرية للكتاب ، 2013،دط ،
13-محمـد مصـطفى كلاب ، عتبـات النص في روايـة سـتائر العتمةلوليـد الهـودلي،مجلـة البحـوث الإنسانية.الجامعة الإسلامية .غزة .مج 25 .2017.
14-نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنّشر, الدار البيضاء, ط 1, 2007،ص 64.
15-نخبة من النقاد و الأكاديميين، فضاء الكون السردي ،إعداد و تقديم :محمد صـابر عبيـد،دار غيـداء للنشر ،عمان ،ط 1،
16-يوسـف الإدريسـي،عتبـات النص(بحث في الـتراث العــربي و الخطــاب النقــدي المعاصــر)، منشورات مقاربات، آسفي، المملكة المغربية، ط 1، 2008.

ثانيا : المراجع الأجنبية :

Gerard Genette,Seuils,collection poetique,ed,seuil,1987